تطوير الذّات

د. أوسم وصفي

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

ophir

سلسلة ١٨٠ درجة- تطوير الذَّات

الطبعة العربية الأولى ٢٠١١

حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright © 2011 by Ophir Printers and Publishers.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

أوفير للطباعة والنشر

ص.ب. ٣٠٦٢، عمّان ١١١٨١، الأردن

هاتف: ٧٦٨ ٥٦٦٥ ٦ ٩٦٢+

فاكس: ٧٦٨ ٥٦٣٩ ٦ ٩٦٢+

Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٢٠١١/٨/٣٢٥٢
ISBN 978-90-5950-146-1

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

فهرس المحتويات

مقدِّمة ٥

الجزء الأوَّل: المبادئ الروحيَّة لتطوير الذات

الفصل الأوَّل: الحياة: رؤيةٌ وهدف ٨

الفصل الثاني: تجديدُ القلب ٢٢

الفصل الثالث: تجديدُ الذِّهن ٣٨

الجزء الثاني: التطبيقات العمليَّة لتطوير الذات

الفصل الرابع: إدارةُ الجسد ٦٤

الفصل الخامس: إدارةُ المال ٧٦

الفصل السادس: إدارةُ الوقت ٩٤

الفصل السابع: تطويرُ الحياة الاجتماعيَّة ١٠٤

خاتمة ١١٦

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

ملاحظة:

القصص المذكورة في هذا الكتاب واقعيَّة؛ لكنَّ الأسماء وتفاصيل القصص قد غُيِّرت حفاظًا على السرِّيَّة.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

مقدِّمة

لكي نطوِّرَ أنفسَنا، فإنَّه يجب علينا أن نفهمَها ونقبلَها ونحبَّها ونتعلَّمَ كيف نقودها. لا نريدُ أن نقدِّمَ بعض النصائح الإنشائيَّة كالتي كانت تُكتَبُ على ظهر الكراريس المدرسيَّة في العصور الماضية عن حبِّ الله والوطن، وطاعة الوالدَين، و"غَسْل اليدَين قبل الأكل وبعده". إنَّ طِباعَنا الأصيلةَ والدَّفينةَ دائمًا ما تغلبُ محاولاتِنا الخارجيَّة، وأحيانًا السَّطحية، لاكتساب طِباعٍ جديدةٍ أفضل. لذلك نحن نتمنَّى أن نعرفَ طِباعنا وطبيعتنا التي تشكَّلتْ بالفعل لكي نعمل مع الله والآخرين على إعادة تشكيلها بشكل أفضل. ولكي ندرك هذه الطباع التي وُلِدنا عليها، والتي شكَّلتها فينا الحياة والخبرات، فإنَّنا نحتاج أوَّلًا لأن نعرفَ ما هو الإنسان، وكيف يعمل، وكيف تتفاعل فيه الطبيعة مع الطِباع، وكيف يفكِّرُ ويشعرُ ويختار.

للإنسان جوانبُ متعدِّدة. فهناك الطبيعةُ الروحيَّة التي تجعلُ الإنسانَ روحًا حرَّةً قادرةً على الاختيار الحرِّ، وعلى التحكُّم في الفكر والمشاعر والسلوك. هذه هي نسمة الله في الإنسان التي تجعلُه كائنًا أخلاقيًّا مسؤولًا عن أفعاله، وقادرًا على تقييم حياته وإعادة تشكيلها وفق ما يؤمن به.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

وعندما نتحدَّثُ بشأن التَّطوُّر والنُّموّ، سنبدأ من الأمور الأعمق إلى تلك

الأكثر سطحيَّة. سنبدأ من الأشياء التي نحتاجُ إلى التَّفكير والتأمُّل فيها لكي ندركَها، لنَنتَهِيَ بالأشياء الواضحة التي لا تحتاجُ إلى الكثير من التأمُّل لإدراكها. في **الجزء الأوَّل** من الكتاب، يبدأُ الكلامُ بشأن **"رؤية الإنسان وهدفه ودعوته"**، ثُمَّ سنتكلَّم بشأن الخطورة الروحيَّة الحاسمة التي تستَيقظُ فيها الروح، لتدرك حقيقةَ الله والعالم الروحيّ، وتكتشفَ أنَّها مَدعُوَّةٌ إلى الحياة مع الله هنا والآن وإلى الأبد، كما أنَّها مَدعُوَّةٌ لتَسلُّم مسؤوليَّة كلِّ الكِيان الإنسانيِّ من فكرٍ ومشاعرَ وسلوك. وسنُسمِّي هذه الخطوة **"تجديد القلب"**. وبعد المواضيع السابقة، سنَتَناوَلُ مرحلةً مهمَّةً جدًّا تنقلُنا من قِمَم جبال الرُّوح، إلى سَفْح الحياة اليوميَّة. وسنتحدَّث في هذه الخطوة بموضوع **"تجديد الذِّهن"**. وتجديد الذِّهن هو خطوةٌ محوريَّةٌ مهمَّة؛ لأنَّ الذِّهنَ، بما فيه من أفكارٍ ومشاعرَ، يَقَعُ في مكانٍ متوسِّط ما بين قرارات الروح وتنفيذ الجسد لها. إنَّه ما يمكنُ أن نُسمِّيَه بلغة الإدارة: "الإدراة الوسطى" (Middle Management)، والتي يمكنُ أن تكونَ مسؤولةً بشكلٍ كبيرٍ عنِ الفشل أو النجاح. أمَّا في **الجزء الثاني** من الكتاب، فسَنَنْزِلُ من الجبل إلى السفح، ونتناوَلُ القضايا اليوميَّة في حياتنا مثل: العمل والوقت والمال والجسد والعلاقات الإنسانيَّة.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

الجزء الأوّل

المبادئ الروحيّة لتطوير الذات

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

الفصل الأوّل

الحياة: رؤيةٌ وهدف

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

عندما يَصِفُ لي أحدُهم عنوانَ مكانٍ ما؛ ويُسهِبُ في الوصف، وفي إعطائي علاماتٍ للطَّريق، وأماكنَ مميِّزةً، وخَطَّ سَيرٍ دقيقًا- فإنِّي أحاوِلُ أن أفهَمَ "الخريطةَ" وأتخيَّلها، كما أكتبُ بعنايةٍ أسماءَ العلامات مثل متجرٍ معروف، أو صيدليَّةٍ مشهورة. غير أنِّي لا يمكِنُ أن أترِكَ الشخصَ دون أن يُعطِيَني العنوانَ الفعليَّ كما يُكتَبُ على الرسائل، بحيث يحتوي العنوان على اسم الشارع ورقم البناية. فإنْ لم أعرِفِ الهدفَ الذي أنا ذاهبٌ إليه بشكلٍ مُحدَّد، فإنَّه لا يمكنني أن أصِلَ إنْ ضَلَلتُ الطريق. أمَّا إذا كان معي "الهدف" مكتوبًا وواضحًا ودقيقًا، فإنِّي أشعرُ بالاطمئنان لأنِّي أستطيعُ عندئذٍ أن اسألَ عن أمرٍ محدَّد. هكذا هي مسيرة الحياة: إنْ لم يَكُنْ هناك هدفٌ واضحٌ نتحرَّكُ تُجاهَه في مسيرتنا، فسنَتحرَّكُ في دوائرَ، ونبدِّدُ وقتَنا وطاقتَنا.

الحياةُ المنطَلِقة نحو الهدف

> مَن يضَعون هدفًا في حياتهم هم مَن يستَطيعون أن يفهموا علاقتَهم بأنفسهم وبالعالَم وبالزَّمن.

هناك الكثيرُ من الألعاب الرياضيَّة، لكنَّ أكثر الألعاب شهرةً وشعبيَّة هي الألعاب التي تحتوي على "مرمًى للتَّهديف" مثل كرة القدم، وكرة السلة، وكرة اليد؛ هذا لأنَّنا مصمَّمون كي ما نعيشَ متَّجِهين نحو هدفٍ ما. عندما يعيشُ الإنسانُ منطَلِقًا نحو هدفٍ ما، فإنَّ كلَّ قدراتِه

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

وطاقاته تتَّحِدُ وتتحرَّك نحو بؤرةٍ واحدةٍ قويَّةٍ دون تَشتيت. عندما نسأل: ما هدفك في الحياة؟ لا يستطيعُ أغلَبُ الناس الإجابة، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ في مرحلة الشباب، والتي لا يزالُ الإنسانُ يتعرَّفُ فيها نفسَه ودَوره في الحياة. **لكنَّ الحقيقةَ المؤسفةَ هي أنَّ الغالبيَّةَ العُظمى تَظلُّ غيرَ قادرةٍ على الإجابة عن هذا السؤال طوال العمر، في بعض الأحيان. ولِكَون هذا شائعًا، فإنَّنا نحسبُه طبيعيًّا ونسخَرُ عادةً ممَّن يتحدَّثُ بموضوع "هدف الحياة" أو "رؤية الحياة"، أو أيٍّ من هذه العبارات. وقد تُعدُّ غالبًا إفراطًا في "التَّفلسُف"؛ حيث إنَّ كثيرين يظنُّون أنَّ الحياةَ ينبغي أن تُعاشَ هكذا: بتِلقائيَّةٍ دون الكثير من التَّفكير.**

> **لكي يحدِّدَ الإنسانُ هدفَه في الحياة، فإنَّه يحتاجُ لأن يعرف نفسَه أوَّلًا، ثُمَّ نَوعِيَّةَ الحياة التي يريدُ أن يحياها.**

عندما كنتُ في الصفِّ الأوَّل الإعداديِّ (الصفِّ السابع)، دخلَ مدرِّس الموسيقى غرفةَ الصفِّ وطلب مِنَّا أمرًا غريبًا. لقد طلبَ أن يَمدَّ كلُّ واحدٍ فينا يديه إلى الأمام، وطافَ يتأمَّلُ أنامِلَ كلِّ واحدٍ ويحدِّد: هذا يصلُح لعَزْف البيانو، وهذا لعَزْفِ الكمان، هذا لعَزْفِ الغيتار، أمَّا هذا فيَصلحُ لعَزفِ المندولين. تعجَّبتُ ممَّا قد فعل توًّا، وسألتُه لماذا يفعَلُ ذلك. قال إنَّه يستطيع من شَكلِ أصابع كلِّ واحدٍ أن يعرفَ أيَّةُ آلةٍ يمكن أن يعزف. لَكَم كان هذا تفكيرًا علميًّا جميلًا لأستاذٍ في مدرسةٍ إعداديَّةٍ حكوميَّةٍ في مدينةٍ صغيرةٍ مثل طنطا، وفي سبعينيَّات القرن العشرين.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

أوَّلُ خطوةٍ في طريقنا لنَعرفَ دعوتَنا ورؤيتَنا في الحياة هي أن نعرفَ أنفسَنا جيِّدًا. فدَعوتُنا مَنسوجةٌ في شخصيَّاتنا، وبعد ذلك علينا أن نعرفَ ما هي نَوعيَّة الحياة التي نريدُ أن نحياها، ومن خلال الإجابة عن هذين السؤالَين يمكنُ، بمرور الوقت، أن تتشكَّلَ رؤيةُ حياتنا وأهدافها. نحن لن نعرفَ شخصيَّاتنا عبر إجراءٍ "شعاعيٍّ" بالأشعَّة السينيَّة (x-ray) كما نفعَلُ مع أجسادنا، وهذا غير ممكنٍ فقط بإجراء اختباراتِ الشَّخصيَّة المختلفة مثل: (DISC analysis[1])، أو "اختبار مايرز بريجز[2]" (Myers-Briggs Type Indicator-MBTI)، فهذه الاختبارات تحاوِلُ رَسْمَ الخطوط العريضة، غير أنَّ كلَّ إنسانٍ هو كائنٌ فريدٌ لا يشبِهُه أحدٌ؛ لذا فنحن نعرفُ أنفسَنا من خلال تأمُّلنا لأنفسنا، ولمشاعرنا وأفكارنا المتكرِّرة، وبتأمُّل سلوكيَّاتنا وعلاقاتنا، وأيضًا من خلال علاقاتٍ حميمةٍ عميقةٍ بآخرين تسمَحُ بأن نتكلَّم فيها بشؤون أنفسِنا بعمق، ونشاركَ أفكارَنا ومعقتَداتِنا ومشاعرَنا مع الآخرين. ونذكرُ من المهارات التي يمكنُ أن تعينَنا في تعرُّفِ أنفسنا: **مهارةُ كتابةِ اليوميَّات (Journaling).**

كتابةُ اليوميَّاتِ تجعلُكَ تُنشِئُ حوارًا جادًّا مع نفسك: مشاعرِك، وتساؤلاتِك، وأحلامِك، وإحباطاتِك، وصراعاتِك، وأخطائِك، وصلواتِك

(١) أحدُ اختباراتِ الشخصيَّة يُحدِّدُ "لون" الشخصيَّة، وذلك باستخدام أربعةِ ألوانٍ لدينا جميعنا "تنويعاتٍ" مختلفة منها وهي: الميل إلى السَّيطرة (D)، والميل إلى التَّأثير من خلال العلاقات الاجتماعيَّة (I)، والميل إلى الاستقرار (S)، وأخيرًا، الأشخاصُ أصحابِ الضَّمير اليَقِظ والرغبة في الالتزام (C).

(٢) أحدُ اختبارات الشخصيَّة يحاوِلُ أن يحدِّدَ طبيعةَ الشخصيَّة، وذلك باستخدام صفاتٍ مُتَقابِلة مثل: الانطواء والانفتاح على الآخرين، الشُّعور والتَّفكير، الميل إلى البحث عن المعلومات والحَدْس المباشر، وأخيرًا، الحُكم من خلال التأمُّل في الداخل أم من خلال ما يستقبلُه المرءُ من الخارج سواءٌ من خلال المعلومات أم الحَدْس المباشر.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

واستجاباتِها، والفِقرات الكتابيَّة والمعاني التي تَستَقيها منها، والأحداثِ ومعانيها، والأشخاص والتبصُّرات التي تنتُجُ من التَّفاعِلُ العميق معهم. أن يكونَ لك هذا الحوار مع نفسك يجعلُكَ تستطيعُ أن تَقِفَ وترى أين أنت وإلى أين أنت ذاهب، ويُعنيك على أنْ تَطلُبَ من الله البَصيرةَ والخُطَّة والهدفَ، وكيف هي السبيل إلى تحقيقه. إنَّك بهذه المهارات تصحِّحُ المسارَ وتتوقَّفُ، ثُمَّ تعودُ إلى الخلف في مسيرك أو تُواصِلُ المسيرَ قُدُمًا. إنَّ كتابة اليوميَّات تساعدُك على أن تكونَ عيناك مركَّزةً على حياتك دائمًا، فتَرى ما تُفرِطُ فيه وما تهمله. كما أنَّها تمكِّنُك من الإجابة عن السؤال المهمِّ: "هل ما تفعلُه متَّفقٌ مع رؤية حياتك كما أخذتَها من الله؟" إذا إهمَلْنا حياتَنا الداخليَّة، فإنَّ انهيارًا سيَحدُثُ في حياتِنا الخارجيَّة؛ ذلك لأنَّ التَّركيبةَ الداخليَّة التي تدعَمُ الخارجَ وتحمِلُه قدِ انهارَت.

أما الخطوة الثانية بعد معرفة أنفسنا هي أن نقرِّرَ نوعيَّةَ الحياة التي نريدُ أن نَعيشَها.

ما هدفُ حياتنا؟

يقول أم. إي. بي سَليغمان (M. E. P. Seligman)، الذي يُعدُّ الأبَ الرُّوحيَّ لِعِلم النَّفس الإيجابيِّ (Positive Psychology): إنَّ هناك ثلاثة أنواع من الحياة يتطلَّع إليها البشر.[3] النوعُ الأوَّل هو "**الحياة السعيدة**"

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

(3) Tom Anderson, Your Place in the World, Creating Life of Vision, Purpose, and Service, (2010).

(The Pleasant Life)، وهي الحياة الملآنة بالخبرات المُسِرَّة والمشاعر الطيِّبة والشعور العامِّ بِالرِّضى والبُعد عن الصراع والمعاناة. أمَّا المستوى الثاني أو النوع الثاني من أنواع الحياة التي يتَطلَّعُ إليها البشر فهو "**الحياة الجيِّدة**" **(The Good Life)**. وفي هذا النوع من الحياة يكونُ الإنسان قد أتقَنَ المهاراتِ الأساسيَّة اللَّازمة لتَحقيقِ احتياجاته الأساسيَّة، ثُمَّ تَخَطَّى ذلك لكي يتعرَّفَ مَواطِنَ القوَّة الخاصَّة التي يتميَّزُ بها وبدأ يستخدمها ويوظِّفُها ليَعيشَ حياةً غَنيَّة من النجاح والإنجاز. مثل هذه الحياة هي التي يَعيشُها مَن يختَرعون ويُبدِعون ويؤسِّسون أمورًا تُغيِّرُ وجهَ الحياة في مجتمعاتهم، بل في العالَم بأسره، وتبقى هذه الأمور ليَذكُرَهم التَّاريخُ ويربطها بأسمائهم. وأخيرًا، هناك نوعٌ ثالث من البشر لا يكتَفون بالحياة السعيدة ولا الحياة الجيِّدة، بل يبحَثون عن نَوعٍ آخرَ من الحياة ويرغبون فيه. هذا النَّوع الثالث من الحياة هو "**الحياةُ الباحثة عن المعنى**" **(The Purpose Driven Life)**. وفي إطار البحث عن المعنى يبحَثُ الناسُ ليس على أفضَلِ نقاط قوَّتِهم ليَصيروا أكثرَ نجاحًا فقط، بل يفعَلون ذلك في إطار خدمةِ أمرٍ أكبرَ من أنفسهم. هذا النوعُ الثالثُ من البشر هو مَن يُشيرُ إليهم السيِّدُ المسيح بأنَّهم هم مَن وَجَدوا حياتَهم، فيقول في متَّى ١٠: ٣٩: "مَن وجدَ حَياتَه يُضيعُها، ومَن أضاعَ حَياتَه من أجلي يَجِدُها". وأيضًا يقولُ في إنجيل مرقس: "فإنَّ مَنْ أرادَ أنْ

> **من حيثُ هدفُ الحياة، هناك مَن يبحَثون عن السعادة، ومَن يبحَثون عن النجاح، وكذلك أيضًا مَن يبحَثون عن المعنى، حتَّى لو خسروا في سبيلِ ذلك السعادةَ والنجاح.**

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

يُخَلِّصَ نفسَه يُهْلِكُها، ومَن يُهْلِكُ نفسَه من أجلي ومن أجلِ الإنجيل فهوَ يُخَلِّصُها" (مرقس ٨: ٣٥). هنا يُشيرُ السيِّدُ المسيح إلى أنَّ هذا النوع من الناس، في سبيل وصولهم إلى المعنى، قد يَفقِدون السعادةَ في الكثير من الأحيان، وقد يَفقِدون "النجاح" المادِّيَّ والمِهْنيَّ في الحياة. هذا ما يشير إليه السيِّدُ المسيح بِقَوله "أضاعَ حياتَه" أو "يُهلِكُ نفسه". إنَّ هذا النوعَ الثالثَ من البَشَر قد "يُضيعُ" نفسَه أو "يُهلِكها"، من المنظور الضيِّق الذي يفترضُ أنَّ الخلاصَ أو تَحقيقَ النَّفسِ يكونُ بالسَّعادة أو النَّجاح؛ وذلك لأنَّهم يَرَونَ منظورًا آخرَ للخَلاصِ أو إيجاد النفس، وهو أن يعيشَ الإنسانُ لهدفٍ أكبرَ من حياتِه نفسها.

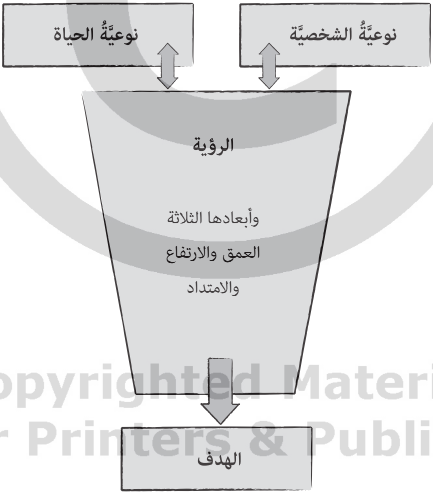

الشكل رقم (١): الرؤيةُ والهدفُ الشَّخصيّ

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

إنَّ نوعيَّة الشخصيَّة والحياة تحدِّدان الرؤية، وأيضًا يحدُثُ العكس، فرؤيةُ الإنسان للعالَم ولنفسه تؤثِّر، بمرور الوقت، في نوعية شخصيَّته وحياته. وكلُّها تَنصَبُّ في الهدف الذي من خلاله يصيرُ كلُّ هذا فعلًا عمليًّا يُغيِّرُ حياتَه، وبدرجةٍ معيَّنة حياة الذين حوله.

الرؤية

الرؤيةُ السليمةُ هي رؤيةٌ مُتَّسعةٌ وبعيدة، عميقةٌ ومُتَسامِية، إنسانيَّةٌ وروحيَّة.

حتَّى نَصِلَ إلى الهدف مهما كان مستواه، نحتاجُ لأن تكونَ لنا رؤيةٌ واضحة. كلُّنا ننظرُ ونرى لكنْ ليس لجميعنا "رؤيةٌ". المقصودُ بالرؤية (Vision) شموليَّة النظرة. إنَّها النظرة التي ترى الصورةَ الكاملة باتِّساعها وأبعادها، وعُمقِها وارتفاعها. الرؤيةُ التي نقصدُها تتضمَّن أن **نرى إلى الأمام**، أي أن نَرى رؤية تَضَعُ في حسبانها المستقبلَ والزمنَ والتغيُّرات التي تحدُث فيه. تشمَلُ الرؤيةُ أيضًا أن نرى **في العمق**- أن نرى ونعرف الأمور كما هي بالحقيقة وليس كما تبدو من الخارج، أن نرى أنفسَنا أيضًا بجرأة وإيجابيَّةٍ دون أن نخدعَ أنفسَنا أو نتملَّقَها. إنَّ الرؤيةَ التي تؤدِّي إلى تَغييرٍ وتَطويرٍ هي رؤيةٌ حرَّةٌ تريدُ أن ترى الواقعَ كما هو بالفعل، وهي لا تخضَعُ كثيرًا لتأثيراتِ الأفكار المسبَّقة، أو القوالب المحفوظة المنقولة إلينا عبر الأجيال. دون أدنى شكّ، إنَّ خبرةَ الأجيال مفيدةٌ لكنَّ

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

قدرتَنا، نحن البشر، في كلِّ مرحلةٍ تتمثَّلُ في أن نرى رؤيةً طازجةً (Fresh) للحياة بكلِّ متغيِّراتِها، ممَّا يجعَلُنا نُغيِّر حياتَنا ونأخُذُ خطوةً إلى الأمام.

أمَّا الرؤية نحو **الأعلى**، فهي أن نرفعَ عيونَنا إلى فوق، إلى الله الذي يرى كلَّ شيء: الماضي والحاضر والمستقبل، والظاهر والباطن، وهو يرى هذا كلَّه في وقتٍ واحدٍ ككتابٍ مفتوح. إنَّ عقلَ الله الذي يديرُ الكونَ كلَّه على استِعدادٍ دائمًا لأنْ ينقلُ إلينا حكمتَه الخالصة ما دمنا نتحرَّكُ من منطلَقِ الرَّغبةِ في الحقِّ والحبِّ والخير لكلِّ الناس. إنْ كانت هذه هي الحال، فمن الغباء ألَّا نسأل الله عندما نطلبُ رؤية لحياتنا.

رؤيةُ العالَم

إنَّ لِكُلِّ إنسانٍ رؤيةً للعالَم (World View)، سواءٌ أدركَ ذلك أم لَم يدركه. تتكوَّنُ هذه الرؤية عبر التَّعليم والتربية والعلاقات التي اختبَرْناها، والكتب التي قرأناها، والثقافة التي نعيش فيها ونمتصُّ منها هذه الرؤية بوعيٍ أو دون وعي. لقد بدأ مصطلحُ "الرؤية الكونيَّة أو رؤية العالَم" في الفلسفة الألمانيَّة، وهو يُشيرُ إلى طريقةِ فَهْم العالَم والإحساس به. إنَّ

تتكوَّنُ رؤيةُ العالَم من ستَّة عناصر:
١) فَهمُ العالَم.
٢) تصوُّرُ مستقبل العالَم.
٣) القِيَم الأخلاقيَّة.
٤) منهج العمل.
٥) نظرية المعرفة.
٦) فَهْمُ الأصول والأسباب.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

هذا الفَهمَ ينبعُ من إدراكِ الإنسان لنَفسه وعلاقته بالآخرين. وتتكوَّنُ رؤية العالَم لدى الإنسان من ستَّة عناصرَ: **أوَّلُها** قدرته على شَرْح الوضع الحاليِّ للعالَم وفهمِه وإدراك المبادئ والقوى التي تتفاعَلُ فيه. **والعنصر الثاني** هو تصوُّرُ الإنسان لمستقبل العالَم وإجابته عن الأسئلة: "إلى أين نحن ذاهبون؟"، "هل العالَمُ يتحرَّكُ إلى التطوُّر، أم ينحدرُ إلى الدمار؟"، "هل تتَّجهُ الثَّقافاتُ نحو الحوار والتَّكامل، أم الصراع والتَّناحُر؟"

العنصر الثالث هو العنصر الخاصُّ بالقِيَم الأخلاقيَّة: ما الذي يجبُ أن نفعلَه؟ وما الذي يجبُ ألَّا نفعَلَه؟ ما تعريفُ الصواب وما تعريفُ الخطأ؟ على أيِّ أساسٍ يُعدُّ الصَّوابُ صوابًا والخطأُ خطأً. أمَّا **العنصرُ الرابع** فهو الإجابة عن الأسئلة التي تتناوَلُ الطريقةَ التي نعيشُ وَفقَها: كيف يمكنُنا أن نصلَ إلى أهدافنا؟ ما الطرق الناجحة وما الطرق الفاشلة؟ هل تتحقَّقُ الرَّفاهِيَةُ مثلًا بتَشجيع الرأسماليَّة وتحرير الاقتصاد تمامًا، أم بالاشتراكيَّة وتدخُّلِ الدَّولة لتَحقيق العدالة الاجتماعيِّة؟ هل الأمرُ باتِّباع الشرائع الدينيَّة أو باتِّباع اللَّادينيَّة؟ ما تعريفُ الدِّين؟ هل يكونُ الأمرُ بالحرِّيَّة والديمقراطيَّة، أم بالشموليَّة والدكتاتوريَّة العادلة؟

العنصر الخامس هو نظريَّةُ المعرفة أو ما يُعرَفُ بالإبِستِمولوجي (Epistemology). إنْ كان العنصرُ الرابعُ يحدِّدُ الخطأَ من الصواب، فهذا العنصرُ يحدِّدُ الكيفيَّةَ التي بها نعرفُ الخطأ من الصواب. ويجيبُ هذا العنصرُ عن الأسئلة التالية: هل نحدِّدُ بالحَدْس المباشر، أم بالعلم التجريبيِّ؟ أم بهما معًا؟ هل نحدِّدُ بالوَحيِ المُنَزَّل الذي يُفترَضُ أنَّه معصومٌ

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

من الخطأ أم بالاستكشاف والاستقراء وحلِّ المشكلات عندما تطرأ؟ أخيراً، يشيرُ **العنصر السادس** من بناء رؤية العالَم إلى الأسباب والأصول. وهو يجيبُ عن الأسئلة التالية: من أين أتى العالَم؟ وما الوحداتُ البنائيَّة لتَكوينه؟ هل وُجِدَ العالَم بالصِّدفة أم هو مخلوق؟ إذا عرَفْنا أصْلَ العالَم، فهل للعالَم هدفٌ أو غاية؟ هل العالَمُ أزليٌّ أبديّ، أم له نهاية؟ إنَّ الإجابات عن هذه الأسئلة هي مايُحدِّدُ رؤيةَ الإنسانِ للعالَم.

الرؤيةُ المسيحيّة للعالَم

تقدِّم الأديانُ، لا سيَّما السماويَّة، رؤيةً متكامِلةً للعالم، وهي تشترِكُ في الكثير من مكوِّنات هذه الرؤية. هناك ثلاثةُ مفاهيمَ رئيسيَّة هي أهمُّ ما يُميِّزُ الرؤيةَ المسيحيَّة للعالَم: السقوط والفداء والنعمة.

> **هناك ثلاثةُ مفاهيمَ رئيسيَّة تُميِّزُ الرؤيةَ المسيحيَّة للعالَم: السقوط والفداء والنعمة.**

أمَّا **السقوط** فيَعني أنَّ الإنسانَ- ومعه الخليقةُ كلُّها- قد ابتعدَ عنِ الله عندما مارَسَ إرادتَه الحُرَّة بعيدًا عنِ الله وعن الخضوع له، وهكذا انتَشَرَ الفَسادُ في العالَم كلِّه، كما تنتشرُ الصَّبغةُ في خيوط النسيج بحيث لا تستطيعُ أن تعرفَ السببَ المباشَرَ لأيِّ شكلٍ من أشكال الشرِّ في العالَم، كما أنَّك لا تستطيعُ كذلك أن تُعيدَ العالَم إلى حالته الأولى، بل تحتاجُ إلى خَلْقِ عالَم جديد. وهذا الخَلْقُ الجديدُ هو المفهومُ الثاني الذي يُميِّزُ

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

الرؤيةَ المسيحيَّة. إنَّه مفهومُ **الفداء.** فمن خلال الفداء أو الخلاص، تدخَّلَ الله ليَصنَعَ خليقةً جديدةً تعودُ إلى الخضوع لله، وفي الوقت نفسه تخطو بالإنسان خطوةً جديدةً على سُلَّمِ التطوُّر. فكما كان الإنسانُ العاقل (*Homo sapien*) **هو قمَّةَ الخليقة جسديًّا**، فالإنسانُ الجديد الذي ظَهرَ في صورة السيِّد المسيح المُقام[٤] هو **قمَّةَ التطوُّر** الروحيِّ للإنسان. هذه النَّقلة التطوريَّةُ تأتي من خلال التوبة (أيِ الاعتراف بحقيقة الخطيَّة والسقوط)، والإيمان **بعطية الله ونعمته المجَّانيَّة** للفداء (التي اكتملت من خلال السيِّد المسيح). بهذه الخطوة توضَعُ بذرةُ الخليقة الجديدة في الإنسان، ويَسكُنُ روح الله فيه ويغيِّره بالتَّدريج إلى شَبه السيِّد المسيح أخلاقيًّا وشخصيًّا هنا على الأرض، ثُمَّ بشكلٍ كاملٍ روحيًّا وجسديًّا في الأبديَّة. في ذلك يقول بولس الرسول: "هكذا أيضًا عندما يُقامُ الأموات. فالجسدُ الذي يُدفَنُ في الأرض يتعفَّن، أمَّا الجسدُ الذي يُقام فلا يموت. الجسد الذي يُدفَنُ هو دونَ كرامة، أمَّا الجسدُ المُقام فمَجيد. الجسد الذي يُدفَن ضعيفٌ، أم الجسدُ المُقام فقَوِيّ. ما يُدفَنُ في الأرض جسدٌ مادِّيّ، وما يُقامُ جسدٌ روحيّ... يقولُ الكتاب: صارَ الإنسانُ الأوَّلُ نفسًا حيَّة. أمَّا المسيحُ آدم الأخير[٥]، فهو روحٌ مُحْيي. لم يأتِ الروحيُّ أوَّلًا بل الطبيعيُّ هو الذي أتى أوَّلاً ثُمَّ الروحيّ. أتى الإنسانُ الأوَّل من الأرض

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

(٤) قام السيِّدُ المسيح بجسدٍ "مُمَجَّد" لا يموتُ ثانيةً. وكان السيِّدُ المسيح بعد قيامته يدخلُ ويخرج والأبواب مغلَّقة، كما ظلَّ يحضر مع تلاميذه في كلِّ مكانٍ فلا يحدُّه ما يحدُّ الجسدَ المادِّيَّ الآن من حيثُ الزَّمان والمكان.

(٥) جاء السيِّدُ المسيحُ مباشرةً من الله من دون أبٍ بشريّ، لذلك يُدعى "ابن الله" تمامًا مثل آدم الذي جاء هو أيضًا مباشرةً من الله، وكما أسَّس آدمُ نسلًا جسديًّا يحيا بمقدارِ حياةِ الجسدِ الفاني، فإنَّ السيِّدَ المسيحَ يؤسِّسُ نسلًا روحيًّا جديدًا يحيا إلى الأبد.

وخُلِق من التراب. أما الثاني فأتى من السماء... وكما حملْنا صورةَ ذلك الترابيِّ (آدم)، سنحمل أيضًا صورة السماويّ'' (١كورنثوس ١٥: ٤٢-٤٩ عن الترجمة العربيَّة المبسَّطة).

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers